لا وقت للحزن

بقلم: احمد الصراف

سالني صديق، تعرفت عليه حديثا، واثناء فترة راحة في اجتماع عمل في المكتب: كيف تستطيع ان تكتب، وان توفق بين ما تتطلبه الكتابة شبه المستمرة من جهد ووقت، وبين ما يتطلبه عملك من وقت، اضافة الى اهتماماتك المالية الاخرى، والتزاماتك العائلية والاجتماعية، وارضاء هواياتك في قراءة الكتب ومتابعة قراءة الصحف والمجلات؟؟

قلت له لقد نسيت ممارسة الرياضة وما تتطلبه من وقت وجهد ايضا، والسر في القدرة على المواءمة بين كل هذه الانشطة والواجبات جد بسيط ولا يحتاج الى عقل جبار او ان يكون للفرد قدرات غير عادية، كل ما يتطلبه الامر هو التقليل الى اقصى درجة من الجلوس ومشاهدة التلفزيون، والتوقف عن البحلقة و«المخازز» في وجوه الاخرين احيانا وفي الفراغ احيانا اكثر بغير هدف او معنى!! ونادرا ما اذهب لمناسبات العزاء، ليس ترفعا او عدم رغبة في الاجر ولكن لشعوري بان الامر اصبح يشكل ظاهرة اجتماعية يغلب عليها النفاق، وخرج موضوع القيام بها عن اطاره، وينسحب الكلام نفسه على حفلات الاعراس التي اصبح الذهاب اليها يشبه ما يقوم به الانسان الآلي (الروبوت) فتدخل دائما مبتسما وتكرر الاسطوانة نفسها وانت تهز الايدي في الدخول والخروج، والغالبية تنظر الى بوفيه الاكل بكل مالذ وطاب، ولا تمد يدها اليه ليس ترفعا، ولكن بسبب السكر والضغط والكولسترول، وغالبا ما يكون مصير كل هذا الطعام سلة المهملات، ولا ارتاد الدواوين الا في حالات نادرة!! كل ذلك يتطلب القليل من التنظيم وبعض التغير البسيط في مفاهيم وعادات قديمة، فالتلفزيون يعتبر في هذا العصر من ادوات التسلية والتعليم والاعلام ذات الاثر الكبير في حياة الشعوب والافراد، ومن الصعب تخيل حياتنا العصرية الحالية بغير هذا الجهاز الذي دخل كل بيت وفكر وعقل دون استئذان وشمل اثره الطاغي كافة مناحي الحياة. ولكن من اجل ان تحظى بالفيلم او البرنامج او الحوار الذي يناسب ذوقك او رغبتك، فانك غالبا ما تجد نفسك قد اضعت الساعات الطوال وانت تنتقل من قناة الى اخرى بغير هدف، تشاهد اثناءها الكثير من التفاهات التي انت في غنى عنها، وبوجود كل هذه المحطات فان من الصعب تنظيم وقت مشاهدة التلفزيون بحيث يتفق مع موعد ما تحب مشاهدته حيث اننا لا نعرف مسبقا اوقات بث العديد من البرامج والعديد من المحطات، وهذا يجعل الكثيرين ينتقلون من محطة لاخرى بحثا عما يرغبون في مشاهدته، فيضيع عليهم الكثير من الوقت الثمين الذي يمكن ملؤه بالقراءة والكتابة!!

لم يعلق الصديق على اجابتي، وربما لم يعجبه كلامي فقرر تغيير الموضوع وفاجاني بالسؤال التالي: هل تنوي الترشيح في الانتخابات المقبلة لمجلس الامة؟؟ فبادرته بسؤال، وانا كلي دهشة من صيغة وموضوع سؤاله: وما الذي دعاك للاعتقاد بان لدي مثل هذه النية؟؟ فقال: ان مقالاتك قد كثرت في الاونة الاخيرة، وكثر انتقادك للاوضاع التي نعيش فيها، وتصادف ذلك مع بدء الحملة الانتخابية للكثير من المرشحين والامثلة كثيرة عن اشخاص تعرف عليهم قراء الصحف وعرفوا افكارهم وبرامجهم الانتخابية من خلال كتاباتهم اليومية التي كثرت قبيل الانتخابات البرلمانية الماضية وساعد ذلك كثيرا في عملية نجاح حملاتهم الانتخابية ووصولهم بالتالي الى البرلمان والى السلطة التنفيذية في بعض الاحيان!!

نفيت الامر جملة وتفصيلا، ليس ترفعا فخدمة الشعب من تحت قبة البرلمان، ان كانت له قبة شرف لا اسعى اليه ولا اعتقد انه تتوفر لدي ما يتطلبه هذا العمل من امكانات اما تعليل السبب الذي جعلني اكثر من الكتابة مؤخرا فهو ما انتابني ولايزال منذ فترة من شعور غريب بانني والكثيرين من جيلي قد بدانا بالعد التنازلي وان من الاجدى ان يبدأ الفرد منا بمنح نفسه فسحة من الوقت يخصصها لغير الماديات وشعرت ان الكتابة تحقق لي هذا الشعور فاتجهت الى هذه الهواية املا في ان اتمكن من صقلها حتى اذا ما جاء وقت التقاعد اكون قد حققت قليلا مما كنت احلم به دائما ولم تكن لدي الخبرة والمعرفة والوقت لفعله.